قرطاس

▪ أحمد عبد الحسين

انظرْ في المرآة

قال هنري كيسنجر قبل أيام قلائل: "ان من لا يسمع طبول الحرب العالمية الثالثة تُقرع الآن فهو أصمّ"، قالها في حديث مطوّل له بمناسبة عيد ميلاده الخامس والثمانين. نعرف أن الرجل يشرف على نهاية عمره الذي قضى أكثر من نصفه وهو يحمل لقب "ثعلب السياسة الأميركية"، فهل سيشهد. قبل وفاته. نهاية العالم كما نعرفه؟

حديث النهايات سهل، خصوصاً لمن يترقب نهايته الشخصية. كما في حال كيسنجر.، ولمن لا يملكون إلا رسم النهايات بعد أن فقدوا القدرة على التحكم بحاضرهم كما في حالنا نحن.

غالباً ما يأتي سيناريو نهاية العالم من قبل مَنْ لم يشترك في بداياته، ولم تقيّض له المقادير أن يشتغل على حاضره بما يترك له مجالاً للتحكّم في المستقبل. هذه حالنا نحن الذين امتلأتْ كتبنا بتأريخ للمستقبل أكبر وأوسع وأكثر تفاصيل من تأريخ الماضي، فمنذ أن فقدنا القدرة على عيش الحاضر استنفرنا في أعماقنا تلك الملكة التي لا يحوزها إلا العاجزون: مَلكة التحكم بالمستقبل ورسم يوتوبيا نفهرس أحداثها ووقائعها كما نشاء، لكنّ نهاياتها محسومة سلفاً لنا.

علم المستقبليات الذي يباشره العالم بكلّ ما اجترحه من علوم ومناهج، نباشره نحن كحلم يقظة متواصل، حلم لذيذ يتخلل نواحي حياتنا كلها، ننام ونصحو وفي أذهاننا ان كل شيء على ما يرام مادام هناك منقذ سيصلح لنا مستقبلنا بعد أن دمرنا حاضرنا وماضينا. لكنّ المنقذ. هكذا علمتنا تجارب الإنسانية. يأتي قبل الأوان أو بعده بكثير، يأتي حين يكون كلّ شيء حطاماً فلا يجد شيئاً لينقذه، أو يأتي مبكراً حين لا أحد يشعر بحاجته إليه فينتهي نهاية مأساوية على يد من جاء لينقذهم.

الأمر مختلف هذه المرة، حديث نهاية العالم جاء اليوم من فم رجل أدمن صنع وقائع الحاضر، لكنه يدخل الآن في هذه الجلبة التي تكثر فيها الألسنة الناطقة بالرؤى القيامية، مشتركاً مع عرّافي الفضائيات، ورجال دين من كل الملل، وضاربي وضاربات الودع وقارئي وقارئات ورق التاروت، لكنْ مع محللين سياسيين ذوي عقول راجحة، وكتاب سيناريو هوليوود الذين أثبتوا مرات عدّة أنهم يتحسسون الزلازل قبل وقوعها.

هناك إغراء كبير في الحديث عن نهاية العالم أملى على أناس كثر أن يصرفوا وقتاً وجهداً في تتبّع وتأويل مدوّنات تأريخية تنبأتْ منذ القديم بنهاية للعالم في ٢٠١٢ . لكن حديث كيسنجر بالتأكيد لا ينبع من إغراء كهذا، الرجل يدرك ان لا موضوع للقوّة سوى القوّة، كما أن السلطة تطلب سلطة أكبر والمال يطالب بمزيد من المال. القوّة الأميركية في ذروتها أمام أعداء سلطانها الجدد، أفق مسدود رآه كيسنجر العارف ان انغلاقاً كهذا سيعقبه انفجار كبير.

أخطر ما في المشهد ان العقائد. التي اختلطتْ بالسياسة اختلاطاً يصعب فصله. هي التي تحكم العالم اليوم بشكل أو بآخر، والعقيد ذات نواة صلبة أبداً، تَكسرُ أو تُكسَر، وهيمنتها في كلّ زمن تمثل وصفة مجربة للاحتراب.

في حرب كهذه ينجو من يأتي منقذه في التوّ واللحظة، من لا يتقدم منقذه ولا يتأخر، ذلك المنقذ الذي تحدثتْ عنه الشاعرة العظيمة "فروخزاد" حين كتبتْ: "انظرْ في المرآة لتعرف اسم منقذك!".

هل حقاً انتم تمثلون شعب العراق؟

يقول الدستور في المادة (٤٩ / أولا) إن مجلس النواب يتكون من عدد من الأعضاء بنسبة مقعد واحد لكل مئة ألف إنسان من أهل العراق، ويتم انتخاب أعضاء المجلس بطريق الاقتراع العام والسري المباشر، ويراعى في التمثيل سائر مكونات الشعب العراقي.

زهير كاظم عبود

كما أكد الدستور على شروط يتوجب أن تتوفر في المرشح، وبعد كل هذا يؤدي العضو يمينا بالله العلي العظيم أن يؤدي مهمته ومسؤوليته القانونية بتفان وإخلاص وأن يحافظ على استقلال العراق وسيادته، وان يرعى مصالح شعبه ، وأن يسهر على سلامة أرضه وسمائه ومياهه وثرواته ونظامه الديمقراطي الاتحادي ، وان يعمل على صيانة الحريات العامة والخاصة، واستقلال القضاء، ويلتزم بتطبيق التشريعات بأمانة وحياد، وأن الله شهيد على كل ما ورد في نص القسم.

مهمة ليست بالسهلة، وتكليف وطني كبير يقع على عاتق أعضاء مجلس النواب ، وكل هؤلاء يمثلون العراق، وبصرف النظر عما يمثلون من قوائم واتجاهات، وبصرف النظر عما إذا كان ولاؤهم للقائمة أو للقائد أو للمذهب أو للقومية ، وبصرف النظر عما إذا كانوا متفاعلين مع وضع العراق والعراقيين أم أنهم يتخشبون من اجل مغانم العضوية ومكاسب مادية باتوا يحلمون بها في زمن تردت فيه القيم في العراق.

ومع اليمين القانونية التي أداها كل عضو، هناك الالتزام الضميري ، وشئنا أم أبينا فهؤلاء من تم انتخابهم لتمثيلنا، وهؤلاء من يقرر سياستنا ومصالحنا وقوانيننا ، فهل هم ممثلون حقيقيون للعراق بعد هذا التقسيم؟ وهل هم مؤهلون لأن يكونوا ممثلين لهذا العراق وفي هذا الظرف العصيب بالذات؟ هل هم يستطيعون أن يتغلبوا على مذهبيتهم وعنصريتهم وحزبيتهم ويصونوا العراق باعتبارهم من يمثل شعب العراق؟ هل يقدر هؤلاء فعلاً على أداء مسؤولياتهم البرلمانية وأن يترجموا وعودهم الانتخابية التي طرحوها للناس في أن يسهروا على مصلحة العراقيين ويجنبونهم الحرب الأهلية ومخاطر التشرذم الطائفي المقيت؟ هل يمكن لهؤلاء أن يعبروا عن كل مناطق العراق باعتبار أن عضو المجلس هو ممثل عن كل منطقة من مناطق العراق بغض النظر عن منطقته الانتخابية.

وأمام تظاهرة ديمقراطية تخللتها بعض الخروقات والسلبيات مارس شعب العراق خياره في انتخاب من يعتقد انه المؤهل لتمثيله برلمانيا في العراق، في زمن ما بعد الدكتاتوريات والأنظمة الرجعية، هل راجع أحدهم ضميره في خلوته؟ هل كان حقاً يستحق أن يكون ممثلاً للعراق؟ هل يستوعب النواب ما يمر به العراق ، ومتى يتم إدراك حجم الخراب الذي حل بالعراق؟

ويسألهم المواطن، متى تترجمون كلمات القسم الذي حلفتموه أمام الله على أنكم جميعا ودون استثناء ترعون مصالح شعب العراق وترعون الحريات العامة وتتزاحمون من اجل الحفاظ على ثرواته ونظامه الاتحادي الديمقراطي؟

هل يعقل أن يكون بينكم من يريد تهديم صرح اللبنات الأولى لبناء العراق الديمقراطي الفيدرالي؟ وهل يعقل أن يكون بينكم من يحنث باليمين فيصير طرفاً في تخريب مصالح العراق وأن يعتمد القتل والذبح والتحريض والاصطفاف من اجل خراب العراق؟ في أي زمان انتم تقفون وعلى ماذا ستستقر سفائنكم؟

من منكم يعرف إن النيابة تكليف وليس تشريفا، وأنكم حينما اختارتكم الجماهير العراقية على أساس أن تكونوا خدما للشعب لا أسياده والطبقة التي تترهل على حساب جراحاته ودماء أبنائه .

أين اختفت عراقيتكم؟ وكيف تقلصت مفاهيم الوطنية في نفوسكم فطغت عليها العشائرية والمذهبية والحزبية حتى باتت هي اللغة التي بها تتعاملون، وصارت الاتهامات القاموس الذي به تتقاذفون ، فأين صار الإنسان في العراق من مسؤوليتكم ومن حرصكم على تمثيله وشرفكم الذي أقسمتم به أمام الله والشعب.

أين صارت أعداد الشهداء الذين نحرهم الدكتاتور في زمن البغي والظلم من مجلسكم؟ وكيف لم تتذكروا فقراء العراق ومعدميه ممن يبيت دون طعام أو مأوى؟ وأين صار الكرد الفيلية الذين أوغل الطاغية في عذاباتهم؟ هل فكرتم بإعادة بيت مسلوب أو مال محجوز لعراقي مظلوم؟ وأين صارت أعداد المفصولين السياسيين والمدد التي عبرت ربع قرن على فصلهم وعذابات عوائلهم وانتظارهم لحظة سقوط الصنم؟ أين صارت إيرادات العراق الخيالية من النفط والثروات المعدنية من شوارعنا المخربة وقرانا التي لم تزل من مجاهل القصبات ، وأين صار الماء والكهرباء والمجاري والقطارات والمطارات ؟ وأين صار الإنسان والأمان منكم ؟ ماذا حققتم خلال الفترة التي مرت علينا ؟ كيف لكم أن تراجعوا القرارات التي أصدرتم والتشريعات التي قررتم ؟ وكيف لكم أن تستذكروا التنابز والاتهامات والعبارات التي لا تليق بالعراق التي تداولتموها في مجلسكم أو عبر الفضائيات المتربصة بكم وبالعراق؟ فهل انتم من تمثلون العراق؟

هل تفقدتم مواطنيكم الذين انتخبوكم وفوضوكم تمثيلهم في مجلس النواب؟ هل عرفتم كيف تعيش أعداد المتسولين في العراق؟ وماذا قدمتم للقضاء ليس فقط على الإرهاب والإرهابيين، وإنما على المخدرات وتجار السموم الدخيلة التي تدخل العراق بيسر وسهولة؟ هل عرفتم من يقود العصابات الإجرامية ومن يحرضها؟ ولماذا لم تكشفوا الأسماء وأنتم ممثلونا في المجلس؟ وكيف قبلتم التستر على الأسماء والمساهمة في أن تستمر تلك العصابات في قتل إخوتنا وأحبتنا ؟ هل بقيتم دون مخصصات أو رواتب شهراً واحداً؟ هل حاسبتم الوزراء عن أخطائهم وعن سلبيات عملهم؟ بل هل حاسبتم من يستخف بمجلسكم من الأعضاء فلا يحضر الاجتماعات ودون أن يبدي عذراً مشروعاً؟ هل فكرتم في قطع مخصصاته وراتبه عن مدة الغياب؟ هل تكاتفتم من اجل مصلحة عراقية دون أن تصطفوا مع أحزابكم أو طوائفكم أو قوائمكم أو مصالحكم؟ هل كان حقاً العراق أمام ضمائركم وعملكم في المجلس؟ هل وضعتم المصالح الشخصية والمكاسب الآنية والفردية وتغليب الأقرباء والأصدقاء على مصلحة العلماء والمختصين في العراق؟ هل فكرتم بطريقة تعيد العلماء والاختصاصيين للعراق؟ بل هل فكرتم لماذا يتم استهداف العلماء والفنيين في العراق ومن هي الجهة التي تستهدفهم؟ ولماذا يتم إفراغ العراق من فلذات أكباده؟

هل أنتم من يمثل شعب العراق وأنتم بهذه الفرقة وهذا التمزق؟ هل انتم تمثلون العراق وقنوات فضائية صفراء تقاذفكم وتشتمكم وتنعتكم بشتى الاتهامات وتتراكضون للجلوس أمام شاشتها؟ أين صارت وعودكم وبرامج قوائمكم ومقابلاتكم في التلفزيون وحرصكم على العمل وصون حريات الناس الذين يخافون السير في الشوارع ، ويخشون أن يتعدى عليهم أحد باسم الدين تارة وباسم الوطنية تارة أخرى؟ هل سمعتم أيها السادة بموت عمال المساطر الفقراء الذين يتجمعون في أماكن العمل فجرا قبل أن يطل عليكم الصباح الجميل بتفجير حزام ناسف أو بانفجار مفخخة؟ هل عرفتم الذبح الشرعي بالسكين أو بالحراب أو بالموت غدرا أو بالرصاص؟ هل عرفتم أن لا حماية تحمي المواطن العراقي حيث فوض أمره الى الله؟

هل عرفتم وانتم تمثلون العراق أن سلاح الجيش العراقي كله وبكل أصنافه موجود في بيوت العراقيين، وربما ستجدون يوما ما طائرات حربية أو دبابات أو صواريخ طويلة المدى بانتظار الإشارة؟! هل انتم تمثلون العراق وعجزتم عن أن تجدوا غير علم صدام تجلسون تحته، وتستمتعون بنشيده الوطني؟

نصرخ فيكم وانتم تمثلوننا عربا أو كردا أو تركمانا أو كلداناً أو آشوريين ، مسلمين أو مسيحيين أو ايزيديين أو مندائيين وهم طينة العراق الحرة، مهما كانت طائفتكم أو مذهبكم أو حزبكم، ومهما كان مشروعكم ورغباتكم الدفينة، نصرخ فيكم إن كنتم حقا من طينة اهل العراق ونهيب بكم أن تكونوا مرة واحدة للعراق ، للقسم الذي أديتموه جميعا ، وان تجربوا مرة واحدة أن تتفقوا لمصلحة العراقيين في قضية واحدة ومشروع واحد يهدف الى حقن دماء الناس وحفظ أرواحهم وشرفهم ، وألا مكان للقتلة بينكم ، وان تجسدوا مرة واحدة الشروط التي توجبت أن تكونوا عليها، وأن تكونوا بحق من يصن حياة العراقيين ويصون حرياتهم العامة.

وتذكروا أن كل واحد منكم يمثل مائة ألف إنسان ، مائة ألف ضمير ينتظر منه أن يصون حياته وعياله، وان يسهر على كرامته وحريته، وان يرعى مصلحة العراق، كل واحد منكم مسؤول أمام الله والتاريخ والعراق على أن يكون ابناً باراً للعراق ، فهل انتم حقا أبناؤه البررة؟

كاريكاتير

■ عادل صبري

محافظات في قلب العاصفة

ساطع راجي

منذ شهرين لم ينجح مجلس محافظة ديالى في عقد جلسة رسمية بعدما تشرذم أعضاؤه نتيجة للأوضاع الأمنية التي عصفت بالمحافظة بعد قرار تحويلها الى إقليم وغاب المحافظ نفسه عن موقع عمله وعن المحافظة كلها في ظل تشوش عام وتعتيم رسمي على حقيقة الوضع القانوني لإدارة المحافظة دون أن تهتم الحكومة الاتحادية لا كثيرا ولا قليلا بمعالجة الوضع.

ومنذ سنوات تعيش محافظة نينوى وضعا غير طبيعي وذلك بعد اختلاف القائمتين الرئيسيتين (الحدباء، ونينوى المتآخية) على توزيع المناصب القيادية في المحافظة وهو ما أدى واقعيا إلى انقسام المحافظة في ما يشبه الإدارتين أو على الأقل هناك مناطق لا تتعامل مباشرة مع مركز المحافظة، وقد فشلت جولات عديدة للتقريب بين الطرفين وتدخلت بعثة الأمم المتحدة وبعض الأطراف الإقليمية دون جدوى، وهو ما يعني أن هناك وضعا قانونيا غير صحيح في نينوى استمر على مدار سنوات دون أن تهتم الحكومة الاتحادية لا كثيرا ولا قليلا بمعالجة الوضع.

كركوك تعيش وضعا قانونيا وسياسيا أكثر تعقيدا، فإذا كانت نينوى منقسمة منذ انتخابات مجالس المحافظات التي أجريت فإن مجلس محافظة كركوك بقي على حاله منذ انتخابات ٢٠٠٤، ولم تنفذ الخطوات التي تم الاتفاق عليها قبل إجراء انتخابات مجالس المحافظات في عام ٢٠٠٩، رغم اقتراب الدورة الانتخابية للمجالس من نهايتها لتستمر بذلك المشاكل نفسها التي عطلت إجراء الانتخابات سابقا وهو ما يلقي بظلال معتمة على الوضع القانوني والدستوري لمحافظة كركوك دون أن تهتم الحكومة الاتحادية لا كثيرا ولا قليلا بمعالجة الوضع.

وإذا كانت الأزمة قانونية ودستورية وداخل المحافظة نفسها بالنسبة لديالى ونينوى وكركوك فإن الأمر اشد احتقانا في ما يتعلق بالانبار وصلاح الدين رغم جولات الاجتماعات التي لا تنتهي بشيء محدد باستثناء الترضيات الشخصية وتبادل المجاملات منذ انطلاق أزمة المطالبة بتشكيل الأقاليم في المحافظتين واعتراض رئيس الوزراء على الطلب بطريقة دفعت بالعلاقات الرسمية بين الحكومة الاتحادية والحكومات المحلية إلى مستوى عال من الفوضى حيث تقول الحكومات المحلية أنها أرسلت طلبات الأقلمة إلى الحكومة الاتحادية والأخيرة تتجاهل كل شيء وكأنه ليس هناك سياق قانوني للمكاتبات الرسمية بين مؤسسات الدولة التي يريد كل طرف تفصيلها على مقاسه الخاص.

وفي هذه الأثناء تبدو محافظات الفرات الأوسط والجنوب محرجة فلا هي قادرة على الذهاب الآن إلى المطالبة بالأقاليم بعدما أخذ الأمر بعدا طائفيا ولا هي قادرة على تلبية حاجات المواطنين في الأوضاع المالية والقانونية والسياسية بصيغتها الراهنة ولذلك تتسرب إلى حكوماتها المحلية ومجالسها الخلافات وتدفعها إلى الشلل والجمود.

القوى السياسية المتصارعة على السلطة في المركز غير معنية بإيجاد حلول للمشاكل في المحافظات التي تعيش فعليا في قلب العاصفة السياسية، بل إن هذه القوى تسعى إلى استخدام تلك المشاكل في صراعاتها بطريقة تؤدي الى الحفاظ على وجود المشاكل كأسلحة للاستخدام عند الحاجة، والنتيجة الحتمية التي تركض البلاد نحوها وغاصت فعلا في بعض مستنقعاتها هي التشرذم وربما الانقسام والاحتراب وتبدو كل من صلاح الدين وديالى في اشد الأوضاع خطورة بين محافظات البلاد، ومع ذلك يواصل الزعماء عيشهم الهني الحالم بالقدرة على إدامة الوضع الراهن الى ما لا نهاية لإنجاز أكبر عدد ممكن من الصفقات، غير مبالين بالتفكك المتسع في هيكلية الدولة وصعود قوى متطرفة في مطالبها واستشراء الفساد بطريقة تخلق مراكز قوى ستسعى لإنتاج توازناتها الخاصة.

حقوق الأقليات والحل الديمقراطي

أوس عزالدين المانع

توصف المرحلة الحالية من التطور الإنساني بأنها عصر بزوغ العامل الثقافي في تحديد مسار السياسات الدولية ،كما عبر عن ذلك سلبيا الثنائي ((فوكوياما)) و((هنتغتون)) ،وإيجابيا صعود اليسار في أمريكا وانتخاب الرئيس الأمريكي ((أوباما)) رئيسا لأكبر قوة عظمى في التاريخ.

زمن إفرازات العامل الثقافي في السياسات بروز الأقليات كمتغير مهم في رسم ملامح مستقبل جديد للعالم، ولم تهد الأقليات في مكاتب وأدراج وزارات الخارجية تلاعب به خصومها أو تستفزهم أو تبتزهم ،وقد أطلق الإعلام الحديث وبأقوى طاقة أصوات المظلومين والمهمشين والأقليات، واضعا ثقافتها وظروفها وتاريخها في صلب الاهتمام العالمي بغض النظر عن النوايا المشكلة لمواقف الدول والمنظمات .

وشيئا فشيئا تترسخ القناعة لدى الجميع بأن الديمقراطية هي الضمان الوحيد لحقوق الأقلية والأكثرية على السواء، ولم يعد ممكنا بعد اليوم حرق الملفات والوثائق بعد أن أصبحت في حرز أمين أسمه ((الذاكرة الإلكترونية))، ومن المهم أن تدخل هذه الأفكار من حيز التفكير النخبوي إلى ممارسات الإنسان العام ،وبالفعل فقد بدأت أغلب الدول الغربية بتدريس حقوق الأقليات ضمن أنضمة خاصة بحقوق الإنسان في المراحل الدراسية كافة.

وفي الطريق إلى تجاوز مشكلات ثنائية ((الأكثرية – الأقلية))، فإن جهودا كبيرة تبذل لعبور إرث طويل من الاستبداد الذي هضم حقوق الأقليات.

ولذلك، فإن منطقتنا العربية والإسلامية خاصة، ومنها العراق، تجابه هذه المشكلات بطريقة مركبة، فمن باب أصبحت حقوق الأقليات ضرورة عملية، ومن باب آخر، هيمنة الوعي الإقصائي على العقل السياسي العام والنخبوي، فإنها تقف حائلا أمام إنجاز الدول العربية والإسلامية مشروعها التنموي .

وفي لب هذه المشكلة ،فإن الأنظمة الحقوقية ،بما فيها الدساتير ،لا يمكن أن تتحول إلى واقع اجتماعي بالممارسة اليومية بسهولة في هذه الدول ،وعلى الرغم من اختلاف الدرجة في هذا الاستعصاء ،فإنه يبقى علامة مهمة من علامات الصراع الاجتماعي والحقوقي في كافة الدول العربية والإسلامية كي تعبر المنطقة الضحلة التي وجدت نفسها فيها بالصوت الواحد والإقصاء الذي يأخذ أشكالا دينية وقومية للآخر .

وقد هيمنت مؤخرا ألفاظ جديدة على الساحة مثل الآخر والتسامح والقبول والتعايش في المجال التداولي للثقافة والإعلام العربي والإسلامي ،وضمن كل ذلك تبرز مسألة الأقليات كتعبير نوعي عن هذه النظرة ،ويصبح الرهان على تفعيل آليات أخلاقية لجعلها صالحة للتطبيق، رهانا وجوديا يمس مستقبل الكيانين معا وهما ((الدولة والمجتمع)).

ولم تنجز المجتمعات العربية الكثير في هذا الإطار ،لكن النخب الحريصة على إنجاز هذا المشروع بدأت تتحرك في محيط معقول من الاهتمام ،وأهم علامات النجاح لهذه القوى في حراكها الصعب هو أن تنشئ لنفسها قاعدة اجتماعية كبيرة تستطيع الاعتماد عليها في حراكها نحو إنجاز هذا المشروع الحياتي بنيويا ،فالمشروع يصطدم بالبنى التقليدية التي اكتسبت قوة وممانعة كبيرتين ،وهي تحاول الآن الدفاع عن مغانمها باستخدام الرموز التاريخية وأساليب البلاغة اللغوية، وحتى يصل النظام التقليدي إلى استنفاذ قوته والاعتراف بحقائق الواقع الجديد فإن تفكيك هذه اللغة يعد أساسياً.